

في تاريخ الجزائر

بنهاية الحرب العالمية الأولى تكون الحركة

الوطنية الجزائرية قد بلغت درجة درجة من النضج والتطور بعل عدة عوامل خارجية وداخلية، كان في مقدمتها أفكار الحركة الإصلاحية والنهضة العربية التي ظهرت في المشرق العربي ووصل صداها إلى الغرب العربي منذ مطلع القرن العشرين وخاصة بعد زيارة محمد عبده إلى كل من تونس والجزائر، ثم طبيعة السياسة الفرنسية المطبقة في الجزائر وأخيرا أحداث الحرب العالمية الأولى التي شارك فيها الجزائريون من أمثال الأمير خالد الجزائري، واحمد مصالي الحاج، حيث كانت لهم فرصة الإطلاع على مبادئ الحرية والديمقراطية في أوروبا فعقدوا العزم على جسيدها في بلادهم بعد نهاية الحرب فكانت إفرزات الحرب العالمية الأولى المتمثلة في مبادئ الرئيس الأمريكي (وودرو ويلسن) الاربعة عشر، ومؤتمر الصلح 1919، وعصبة الأمم قد ساهمت في تطور ونضج الحركة الوطنية الجزائرية بل وعجلت في تأسيس الأحزاب الوطنية في صيغتها المتطورة، فكان نجم شمال إفريقيا وفيدرالية المنتخبين الجزائريين، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والحزب الشيوعي الجزائري... الخ. وجاءت هذه الاحزاب بمطالب أكثر وضوحا وتطورا، وبرزت الإتجاهات . ورغم التباين والإختلاف في المطالب إلا أن الحركة الوطنية الجزائرية قد حاولت تجاوز هذه الإختلافات بأن عملت على توحيد جهودها وأهدافها وتقريب الرؤى من أجل الدفع بالقضية الجزائرية نحو التقدم والنجاح.

د.قدادة شايب

أثر اندلاع الحرب العالمية

الثانية على مسار الحركة

الوطنية الجزائرية :

1939-1942 دراسة تحليلية

لقد كانت الحركة الوطنية الجزائرية بحق في فترة ما بين الحربين العالميتين قد بلغت أوج تطورها واستطاعت أن تقف الند للند في وجه السياسة الإستعمارية على المراوغات والوعود الكاذبة ، هذا التطور الذي بلغته الحركة الوطنية الجزائرية هو الذي جعل السلطات الإستعمارية تتحين الفرصة للنيل من الحركة الوطنية ، فوجدت في إندلاع الحرب العالمية الثانية الفرصة المواتية وأقدمت على حل الأحزاب الوطنية وتوقيف جرائدها وصحفها ، أعتقال زعمائها.لكن هذه الإجراءات لم تثن قادة الحركة الوطنية بل واصلوا نشاطهم متمسكين بقضيتهم العادلة ، بأن لجأوا إلى وسائل أخرى من الكفاح وهو العمل السري طيلة الحرب العالمية الثانية، وسأكتفي بالتطرق في هذا المقال إلى هذا النشاط لكن إى غاية نزول قوات الحلفاء في شمال إفريقيا عام 1942، وفق المحاور التالية.

1- الساحة السياسية الجزائرية عشية اندلاع الحرب:

إن التطور الذي بلغته الحركة الوطنية الجزائرية في بداية الثلاثينات من القرن العشرين سرعان ما توقف بقرب اندلاع الحرب العالمية الثانية.

حيث أصبحت الساحة السياسية الجزائرية عشية اندلاع هذه الحرب تتسم بضعف شديد بسبب الانقسام الذي دب في صفوف الحركة الوطنية الجزائرية، و تضارب الأهداف الوطنية، يضاف إلى ذلك أن مطالب الجزائريين في تحقيق المساواة مع الفرنسيين، و تطبيق مشروع بلوم- فيوليت و تحسين الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية لم تجد أذنا صاغية لدى حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا و بسقوط هذه الحكومة الشعبية يوم 10 أبريل عام 1938 ضاعت معها آمال القادة السياسيين الجزائريين فبدأوا يفكرون بعد ذلك في جمع القوى الشعبية الجزائرية و وتوحيدها، فاقترح الشيوعيون الجزائريون عدة أشكال لتحقيق جبهة إسلامية عام 1938 ثم جبهة إسلامية فرنسية عام 1939، كما نادى أنصار حزب الشعب الجزائري بإنشاء الجبهة الإسلامية الجزائرية، و أمام هذه المحاولات و كذلك أمام تصلب السلطات الاستعمارية الفرنسية و مناورات المستوطنين فكر زعماء فيدرالية النواب المسلمين لعمالة قسنطينة في إيجاد طريقة جديدة لبعث حركة سياسية تكون قادرة على تحقيق مطالبهم²

فدفع ذلك فرحات عباس إلى تأسيس "الإتحاد الشعبي الجزائري" عام 1938 لتحقيق الأهداف التالية:

1- تحقيق نظام تسوده المساواة و تلغي فيه كل الامتيازات الطبقية أو العرقية أو الجنسية.

2- تحقيق نظام اقتصادي يوفر الخبز و العيش للجميع.

3- اعتبار الجزائر مقاطعة فرنسية على غرار الأقاليم الموجودة³ في فرنسا.

و قد اعتبر فرحات عباس أن الإنخراط في صفوف الإتحاد الشعبي الجزائري واجباً على كل جزائري يرغب في الحصول على الجنسية الفرنسية و في التمتع بالحرية الفرنسية، و تكمن مهمة الإتحاد في تحقيق تقدم جزائري في إطار فرنسي.

و كان الإتحاد يضم مناضلين مخلصين يتحلون بطاعة النظام، لكن الشيء الملاحظ عن هذا الإتحاد هو انه لم يشر في أهدافه على قضية استقلال الجزائر⁴.
و من جهته أسس الدكتور ابن جلول "التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري R.F.M.A" عام 1938⁵. و كان هذا التجمع يضم جماعات مختلفة من حزب الشعب الجزائري و ممثلين عن الإتحادات التجارية الأوربية، و أعضاء من بعض الأحزاب الشيوعية و الاشتراكية الفرنسية⁶.
بالإضافة إلي العلماء و الفلاحين و العمال و التجار و الموظفين و قدماء المحاربين و الطرقيين⁷.

و في أول اجتماع للتجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري الذي عقد يوم 31 يونيو 1938 طرح ابن جلول المطالب التي سيقدمها تجمعهم إلى الحكومة الفرنسية و التي تضمنت بالخصوص إلغاء مرسوم "رينيه" و قرار 8 مارس 1938 الخاص بإلغاء التعليم العربي، و رفع أجور الفلاحين، و بمعنى آخر فإن التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري قد حرص على تحقيق المطالب الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية للجزائريين⁸.

و قد نالت فكرة التجمع هذه تأييد جمعية العلماء حيث عبر الإمام عبد الحميد بن باديس عن ارتياحه بفكرة الوحدة الشعبية التي دعا إليها ابن جلول. فأوضح ابن باديس بأن المسلمين رغم مظاهر الاختلاف بينهم إلا أنهم أقدر على التفاهم مع بعضهم البعض في نفس الوقت رفض التحالف مع الذين يذعنون لأوامر الإدارة الفرنسية، كما ألح على ضرورة محاربة قرار 8 مارس عام 1938 حيث طلب من ابن جلول التعهد برفع احتجاجات إلى الحكومة الفرنسية ضد إجراءات محاربة التعليم العربي⁹.

و كان ابن باديس يهدف من وراء موقفه هذا إلى تمسك التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري بالدفاع عن الدين الإسلامي و عن اللغة العربية، و قد وافقه ابن جلول على ذلك، حيث تعهد بأن يلتزم التجمع بالدفاع عن الدين الإسلامي و عن اللغة العربية، و أن يحترم قانون الأحوال الشخصية¹⁰.

و لو ألقينا نظرة على الحركتين "حركة فرحات عباس"، حركة ابن جلول "لوجدنا أن الزعيمين كليهما توجه بحركته إلى الشعب الجزائري طمعا في التأييد و الدعم المادي و المعنوي لكنهما رغم ذلك قد اختلفا في الوسيلة، فابن جلول عمل على استمرار الاتصال بال جماهير الشعبية انطلاقا من مبادئ المؤتمر الإسلامي الجزائري عام 1936، و استطاع أن يكسب عدد من الجزائريين مثل الشيخ عبد الحميد ابن باديس نفسه، و بعض النقابيين، و قدماء المحاربين، و بعض أعضاء من الحزبين الفرنسيين "الإشتراكي و الشيوعي".
و بهذا يمكن القول بأن ابن جلول استفاد من الاتجاهات الوحوية التي دعت إلى تحقيق مطالب المؤتمر الإسلامي لأن ابن جلول لم يكن يهدف فقط إلى إعادة تأسيس المؤتمر الإسلامي، و إنما كان يهدف أيضا إلى توسيع هذا المؤتمر كي يشمل كل الفئات الإسلامية و الأوروبية التي كانت تؤيد سياسة الإدماج¹¹.

أما فرحات عباس فكان يهدف إلى جمع العناصر غير المنظمة و الإشراف على الجماهير الإسلامية حتى تكون له صبغة شعبية، كما كان يؤكد بأن تحرير الإنسان الأهلي "الجزائري" هي مهمة الإنسان نفسه، و لكي يتحقق ذلك لابد على الجماهير أن تتحرك، و على هذا الأساس رفع عباس شعار "بالشعب و من أجل الشعب" ، و أوضح

للجماهير الشعبية بأن الأسواق و المقاهي العامة يجب أن تكون ميادين للعمل¹² . كما أعرب فرحا عباس عن آماله في تحقيق العدالة الاجتماعية في الجزائر بالاعتماد على الديمقراطية الفرنسية، و لكن مع الإحتفاظ بالعادات و التقاليد العربية الإسلامية، كما أوضح أيضا بأن الارتباط بفرنسا لا يعني الإدماج¹³ . و بعد هذا يبقى الاختلاف بين الحركتين "حركة ابن جلول، حركة فرحات عباس قليلا و لا يكاد يظهر، و يتمثل في التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري كان يضم إليه رؤساء الجمعيات و ليس المناضلين العاديين، أما الإتحاد الشعبي الجزائري فكان يضم نخبوية و عناصر شعبية كادحة. لكن الملفت للإنتباه هو أن حركة فرحات عباس قد لقيت معارضة شديدة من قبل العلماء¹⁴ و الميصاليين و الشيوعيين، الأمر الذي صعب من مهمة عباس فلم تستطع حركته أن تفتح فروع لها في مختلف مناطق الجزائر، فلم يكن لها سوى تسع فروع في عمالة قسنطينة تضم 50 عضوا¹⁵، الجزائر العاصمة، كما لم يستطع عباس أن يجعل من الاتحاد حزبا قائما بذاته كما كان يتوقع¹⁶ .

أما حركة التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري فقد استمرت إلى غاية شهر أغسطس 1939 إلا أن نشاطها كان ضعيفا، و لم تكن الشعارات التي رفعتها: "من أجل الخبز و المدارس الفرنسية و اللغة العربية" سوى حبرا على ورق¹⁷ .

و قد ساهم الشيوعيون في تأسيس التجمع الفرنسي - الإسلامي الجزائري - حيث كانوا يأملون منه تحقيق العدالة الاجتماعية، و لذلك دعوا كافة الشعب الجزائري إلى منح التأييد و الدعم الكاملين من أجل الوحدة بين كل القوى الديمقراطية في البلاد، و أكدت صحيفة "الكفاح الاجتماعي" La lutte Sociale موقفها من ذلك حيث قالت: "كل المناضلين المخلصين و الأوفياء للقضية الجزائرية يعلمون بأن التأخر في الإستجابة لمعظم مطالبنا لحد الآن لا يعود إلى معارضة الإقطاعية الفاشية في هذه البلاد فحسب و إنما إلى تفرقنا و رفض البعض منا التقرب إلى القوات الديمقراطية الأوروبية في الجزائر ... نحن اليوم مقتنعون بضرورة بعض وحدثنا و ترسيخ التفاهم الفرنسي الإسلامي تحت شعار الديمقراطية و النضال من أجل حقوق الإنسان و المواطن و التقدم الاجتماعي"¹⁸ .

و هكذا فقد أصبحت حركة المطالب الإسلامية عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية ضعيفة و منقسمة على بعضها البعض، ففيدرالية النواب لعمالة قسنطينة انحلت تقريبا، أما الإتحاد الشعبي الجزائري لفرحات عباس و التجمع

الإسلامي الفرنسي الجزائري فلم يبق لهما سوى أقلية من المنخرطين و أن نشاطهما أصبح ضعيفا، كما فشلا ذريعا في تحقيق أهدافهما، كما أصبح العلماء ضحايا لإجراءات قاسية سلطتها عليهم الإدارة الفرنسية للتضييق على حركتهم، كما أصدرت السلطات الفرنسية قرارا بحل الحزب الشيوعي الجزائري، و حزب الشعب الجزائري و اعتقلت معظم زعمائهم و عطلت صحفهم¹⁹

2- اندلاع الحرب و أثره على الحركة الوطنية الجزائرية:

تعد الحرب العالمية الثانية من أكبر الأحداث التاريخية التي عرفتھا البشرية في نهاية النصف الأول من القرن العشرين نظرا لما تخللها من تغييرات جذرية في مواقف الدول من جهة و لما انعقد خلالها من مؤتمرات و ما ترتب عليها من نتائج من جهة ثانية²⁰.

و كانت الحرب العالمية الثانية قد اندلعت يزوم 03 سبتمبر عام 1939²¹ العدة أسباب منها مقررات مؤتمر الصلح عام 1929، الأزمة الاقتصادية العالمية 1929 و عدم فعالية عصبة الأمم²². و كانت البداية هي عبور القوات الألمانية الممر البولندي ثم دخول القوات السوفياتية الأراضي البولندية²³.

و لما أصبح من الواضح أن فرنسا هي الدولة التي ستدور على أرضها أحداث هذه الحرب، فقد أصبح من المؤكد أن يؤثر هذا سلبا على الأوضاع العامة في الجزائر، خاصة و أن فرنسا كانت قبل اندلاع الحرب تعلق آمالا كبيرة على الاقتصاد الجزائري و على مشاركة الجزائريين إلى جانبها في هذه الحرب²⁴.

و تأكد ذلك عندما وجه الحاكم العام الفرنسي في الجزائر "لوبيو Lepeaux" نداء يوم 04 سبتمبر عام 1939 إلى الشعب الجزائري يدعو فيه إلى الوقوف إلى جانب فرنسا و مسانبتها في حربها ضد ألمانيا حيث قال : "يا سكان الجزائر، منذ أمس دخلت فرنسا و بريطانيا العظمى في حالة الحرب مع ألمانيا، إن هتلر رئيس الدولة الألمانية بتماديه في سياسة التباغض بين الأمم للتوصل إلى جعل العالم أجمع تحت نير العبودية الألمانية"²⁵

و يستطرد قائلا: "إن الوطن الجزائري هو الجزء الأهم من المملكة الفرنسية يجيب كله بالقبول لنبييل خطاب السيد "لوبران Le Pranne" رئيس الجمهورية الفرنسية، و للسيد "ادوارد دلادييه Edward Daladier" رئيس الوزراء الفرنسي، و يكون مثالا لوطن هادئ ذي عزم و امتثال باتحاد جميع ابنائه في حب الوطن، لتعش الجزائر الفرنسية؟ لتعيش الحرية"²⁶.

أما الجنرال "ديجول De Guaille" فقد علق في مذكراته على إعلان فرنسا الحرب ضد ألمانيا بقوله في أول من سبتمبر - أيلول- راح هتلر يلقي بقله على بولندا -بولونيا- أما فرنسا فقد لعبت في جميع هذه الفصول التي تؤول مسرحية واحدة دور الضحية كي تنتظر دورها²⁷.

و يستطرد قائلا: " و عندما حذت الحكومة الفرنسية في أيلول- سبتمبر عام 1939 حذوا الحكومة البريطانية و قررت الاشتراك في الحرب التي بدأت في

بولندا لم يساورني الشك لحظة واحدة في أنها فعلت ذلك و هي تتصور أننا بالرغم من وجود حالة الحرب فإننا لن نضطر إلى خوض معركة شاملة²⁸.
و يفهم من تصريح " دلاديه " Deladier ، " شارل ديغول " أن فرنسا أصبحت عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية ضعيفة منهوكة القوة و هي غير مستعدة لخوض حرب كونية مدمرة.

و الجدير بالملاحظة أن اندلاع الحرب العالمية الثانية قد وجد الأوضاع العامة في الجزائر - الاقتصادية، السياسية، والاجتماعية- متدهورة للغاية، فمن الناحية الاقتصادية توالى المحن و الكوارث الطبيعية، مثل الفيضانات و الجفاف التي تسببت في قطع العلاقات، و تطورت الأمور إلى قطع العلاقات الاقتصادية بين الجزائر و فرنسا فيما بعد²⁹. و نفس الشيء اتسمت به الساحة السياسية الجزائرية لأن الأحزاب الجزائرية أصبحت عبارة عن جسد بلا روح فهي محظورة النشاط و مفروض عليها رقابة شديدة³⁰.

3- مواقف الأحزاب الوطنية من اندلاع الحرب:

لقد كان للأحزاب الجزائرية على اختلاف تياراتها و اتجاهاتها مواقف معينة من اندلاع الحرب العالمية الثاني، فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين مثلا كانت قد التزمت الصمت و لم تعبر عن موقفها صراحة ، و في نفس الوقت سارعت إلى تعطيل مجلتها "الشهاب " تحسبا لما ربما تجبرها السلطات الفرنسية على نشر ما هو في صالح فرنسا، نسيت جمعية العلماء على هذا العمل³¹. و ذلك معاملة بالمثل لأن فرنسا نسيت جمعية العلماء أيام رخائها (فرنسا) فالجمعية اليوم تتساها في ساعة شهدتها³². خاصة و أن الجمعية سمعتها و مكانتها المحترمة لدى الأوساط الجزائرية، و لها القدرة الكاملة لإقناع هذه الأوساط الجزائرية بضرورة الوقوف إلى جانب فرنسا في حربها ضد ألمانيا، إذا أرادت لكنها فعلت ذلك تمسكا بمبادئها الإسلامية الصحيحة و بقانونها الأساسي الذي وضحت فيه الطريق السليم لبلوغ أهدافها، و تجنب بذلك حل المشاكل التي ربما تخلق لها بعض العراقيل و بالتالي تحول دون تحقيق أهدافها³³.

و ترتب على موقف الجمعية هذا بأن لجأت السلطات الفرنسية إلى وسيلة جديدة لكسب رأي الجمعية فيما يخص مساعدة فرنسا في الحرب العالمية الثانية، فاتصلت الإدارة الفرنسية بأعضاء الجمعية كل على حده ، و فشلت مع معظم الأعضاء إلا أنها استطاعت أن تؤثر على بعض الأشخاص³⁴، مستغلة في ذلك بعض الخلافات الطفيفة في صفوف الجمعية، و كانت تعتقد أنها بطريقتها هذه ستتمكن أيضا من إقناع زعيم الجمعية نفسه (الشيخ عبد الحميد ابن باديس) لكن أعضاء الجمعية رفضوا رفضا قاطعا كل العروض و المغريات التي قدمت لهم، و امتنعوا عن توجيه برقيات الولاء و التأييد لفرنسافي حربها ضد ألمانيا، كما رفضوا توجيه النداءات إلى الشعب الجزائري لنفس الغرض³⁵، و لم تمض سنة فقط على اندلاع الحرب العالمية الثانية حتى فاجأ لقدر زعيم جمعية العلماء الشيخ عبد الحميد بن باديس يوم 16 أبريل عام 1940، و مع ذلك فإن موقف الجمعية من

الحرب و من فرنسا بقي ثابتا و لم يتغير حيث سلك خليفته الشيخ محمد البشير الإبراهيمي نفس المشوار رغم وجوده في المنفى بقرية "أفلو" جنوب غرب الجزائر³⁶.

أما جماعة المنتخبين فيدرالية النواب³⁷ التي ينتمي إليها كل من فرحات عباس و الدكتور ابن جلول فقد أيدت في البداية الوقوف إلى جانب فرنسا في الحرب العالمية الثانية، و على هذا الأساس تطوع كل من فرحات عباس³⁸ و الدكتور ابن جلول و الدكتور الأخضر في الحرب دفاعا عن فرنسا، و بذلك يكونوا قد جددوا تعلقهم بفرنسا و عبروا عن شعورهم القوي تجاه فرنسا و عن ثقتهم في رئيس الوزراء الفرنسي "دلاديه" و في الجيش الفرنسي و ماعتقدوا بأن مشاركتهم في هذه الحرب إلى جانب فرنسا تعني الانتصار للسلام و للحرية و الديمقراطية و خدمة للإنسانية³⁹.

كما أنهم ظنوا بأن الوقوف إلى جانب فرنسا في محنتها يسمح لها بمراجعة سياستها نحو الجزائريين و النظر إلى مطالبهم بعين العطف و العدالة⁴⁰. و كان فرحات عباس قد تأكد من حقيقة العنصرية التي مارسها عليه الجنود الفرنسيون خلال مشاركته في الحرب العالمية الثانية على جانب فرنسا، فعاد إلى المسرح السياسي الجزائري بوجه جديد مخالفا لما كان عليه في الثلاثينات من القرن العشرين عندما كان يناهز بتطبيق سياسة الإدماج. عاد ليعيد الاعتبار إلى نفسه و لقد لقي ترحيبا كبيرا من قبل الجماهير الشعبية الجزائرية التي أصبحت بلا قيادة فكل قادة الحركة الوطنية الجزائرية،

أما في السجن أو في المنفى، و أول عمل قام به فرحات عباس هو توجيهه رسالة إلى الحاكم العامة في الجزائر بتاريخ 16 مارس محتجا فيها على تعيين أعضاء في اللجنة المالية الجزائرية فهم حسب رأيه ينتمون إلى الطرق الصوفية، فهم ليسوا أهلا لذلك، و بالإضافة على رسالته تلك فقد أجرى مقابلة مع الحاكم العام نفسه "شاتال Chatal" و اختلف معه في عدة نقاط تخص الجزائريين، و لم يكتف بذلك فقط بل وجه رسالة إلى المارشال "بيتان" ذكره فيها بضرورة تحقيق مطالب الجزائريين لكن "بيتان" لم يعره أي اهتمام⁴¹.

و بعدما اتسعت رقعة الحرب العالمية الثانية و أصبح خطرها يهدد حتى المستعمرات الفرنسية نفسها لجأت فرنسا من جديد إلى التقرب من زعماء الحركة الوطنية الجزائرية و خاصة منهم السيد فرحات عباس نفسه بهدف استمالته لها لمساعدتها في الدفاع عن أراضيها، فاتصل كل من " دارلان Darlan" و "جيرو Giraud" بفرحات عباس لنفس الغرض -كان فرحات قد تطوع في الحرب- و ذلك في شهر يناير عام 1941 فاستغل فرحات عباس هذه الفرصة و قام بتحرير رسالة يوم 10 أبريل عام 1941 وقعها معه زملاؤه و وجهها إلى السلطات الفرنسية المختصة أبدى لهم فيها استعداد الشعب الجزائري لذلك لكن بشرط عدم التمييز بين الشعوب في الجنس و الدين ، و ألا تحرم الشعوب من حقوقها و حرياتهما، و أن تتحقق وعود الشعوب المستعمرة،

و اشترط أيضا عقد مؤتمر جزائري يضم كل الهيئات السياسية الجزائرية آنذاك لوضع نظام سياسي و اقتصادي للجزائر⁴².
و تمثل رد السلطات الفرنسية على اقتراح عباس، بأن اجتمع الجنرال الفرنسي "جونن Gonon" بجماعة النخبة فقط خلال شهر أبريل من نفس العام و طلب منهم قبل كل شيء قبول اقتراحات الجنرال "جيرو" المتمثلة في الوقوف إلى جانب فرنسا، و لك قبل النظر في أية مطالب أخرى تخص الجزائريين، فاستاءت جماعة النخبة من هذا الرد السلبي و المشروط، و كلفت الدكتور "ابن جلول" بتوجيه خطاب إلى الفرنسيين و قد قام بذلك فتعهد عندئذ "شاتال" بتشكيل لجننتين لدراسة مطالب النخبة الجزائرية، لكن في النهاية لم يتحقق شيء فتأكد بعد ذلك فرحات عباس بأنه لا أمل في سياسة الإدماج التي ظل ينادي بها لمدة طويلة من الزمن⁴³. و منذ هذا التاريخ أصبح يسير في طويق جديد يخالف تماما سياسة الإدماج، كما أسلفنا الذكر.

أما الحزب الشيوعي الجزائري فقد أيد هو الآخر الوقوف إلى جانب فرنسا و لكن عندما خضعت فرنسا للاحتلال الألمان، أقدمت الحكومة الفرنسية على حل الحزب الشيوعي الجزائري و زجت بأعضائه في السجون و المعتقلات بسبب ارتباطهم بالحزب الشيوعي الفرنسي الذي أبدى تأييده للنازية الألمانية⁴⁴. و بذلك وجد الحزب الشيوعي الجزائري نفسه في حالة سيئة، الشيء الذي دفع برئيسه حينئذ "ابن علي بوخرت" إلى تقديم الاستقالة من الحزب⁴⁵.

و فيما يخص حزب الشعب الجزائري فإنه يمكن القول بأنه فشل في تحقيق الجبهة الإسلامية التي كان يدعو إليها و من ثم تضاعل نشاطه بسبب مضايقة الإدارة الفرنسية لمناضليه و اعتقال عدد كبير منهم، لكنه رغم ذلك استطاع أن يحقق نجاحا كبيرا في الانتخابات التي جرت بالجزائر في شهر أبريل عام 1939، حيث فاز فيها مرشح الحزب المناضل "محمد دوار" فعلقت مجلة الشهاب على هذا الفوز بأن الشعب الجزائري⁴⁶ أصبح يميل إلى الذين يمثلون الوطنية الجزائرية لأنهم يمثلون فكرة جديدة و برنامجا ضد اليأس من وعود فرنسا⁴⁷. كما حيت فيدرالية النواب لعمالة قسنطينة من جهتها هذا الانتصار و اعتبرته فوزا حققه الشعب الجزائري على النظام الفرنسي المستبد⁴⁸.

و لما لاحظت الإدارة الفرنسية تأثير حزب الشعب الجزائري المتزايد على الجزائريين خاصة و أن الحرب العالمية قد أشعلت، فقد سارعت إلى حله يوم 26 سبتمبر 1939 و لم يمض على قيام الحرب شهر واحد، كما اعتقلت زعيم الحزب "مصالي الحاج" من جديد رفقة بعض مناضلي الحزب في بداية شهر أكتوبر عام 1939⁴⁹ و منذ هذا التاريخ بدأ أعضاء حزب الشعب الجزائري و أنصاره يخوضون الكفاح السري و بدأت نشاطاتهم تظهر في الانتخابات، و كثيرا ما كانت السلطات الفرنسية تتدخل لإلغاء نتائج هذه الانتخابات، و خاصة تلك التي كانت لصالح الجزائريين⁵⁰.

أما موقف حزب الشعب الجزائري من كل القضايا التي تخدم مصالح السلطات الاستعمارية الفرنسية و لا تخدم القضية الجزائرية فهو موقف ثابت و واضح، و هذا منذ تأسيس هذا الحزب فمثلا بالنسبة لموضوع اندلاع الحرب العالمية الثانية نجده قد رفض رفضا قاطعا التجنيد في الجيش الفرنسي و التعاون بأية صفة كانت مع الإدارة الفرنسية، رغم وجود أغلب قادته في السجون عند اندلاع الحرب العالمية الثانية⁵¹.

و على أية حال يمكن القول بأن كلا من حزب الشعب الجزائري و جمعية العلماء كانا يناديان بالاستقلال عند اندلاع الحرب العالمية الثانية.

أما جماعة المنتخبين فقد خابت آمالها في وعود فرنسا و بالتالي ظلت في انتظار الساعة التي تنهزم فيها فرنسا لتستأنف مطالبها حسب الوضع الجديد⁵².

و بهذا الصدد نسجل ذلك التحرك السري الذي قام به حزب الشعب الجزائري المنحل قانونيا لبث الروح الوطنية و الدعوة إلى الفكرة الاستقلالية رغم وجود أغلبية أعضائه في السجن، حيث قام شبان متحمسون رأوا في الحرب المشتعلة و في ضعف فرنسا فرصة لإعلان التمرد على فرنسا و إعلان الثورة و الاستقلال⁵³، كما كان هؤلاء الشبان ينتظرون من قيادة الحزب السماح لهم بالقيام بعمل عسكري، لكنهم لم يتحصلوا على ذلك لأن الوقت في أي قيادة حزب الشعب غير مناسب و أن الاستعداد غير كاف، كما أن الظروف لا تسمح بذلك، و أن جانب الألمان غير مؤتمن بسبب نزعتهم الاستعمارية المعروفة عنهم، لكن هؤلاء الشباب لم يقتنعوا بتلك التبريرات، فقام بعضهم بنشاط خارج إطار الحزب و أجرى اتصالات مع الجهات الأجنبية و خاصة الألمانية منها للحصول على السلاح و التدريب على حمله و استعماله، فاعتبر حزب الشعب الجزائري بعد ذلك هؤلاء الشبان متمردين و يجب فصلهم من عضوية الحزب و لا يمكن إعادتهم إلا بعد أن تثبت ثقتهم و إخلاصهم للحزب و حسن نواياهم و كان من بين هؤلاء الشباب الوطنيين المتحمسين الشاب بوراس قائد الكشافة الإسلامية الجزائرية الذي اكتشفت السلطات الفرنسية اتصالاته⁵⁴. بالألمان فأعدمته على الفور، و هناك أيضا "صالح بودراع" من قسنطينة الذي تمكن من تأسيس حزب ثوري قام بتهريب الأسلحة من تكتة "القصة" بقسنطينة و توزيع بعض المناشير الثورية بين أوساط الشعب الجزائري، و كاد أن يقع في يد السلطات الفرنسية لولا أنه فر و اختفى⁵⁵، و من جهة أخرى نجد أن السلطات الفرنسية قد وجدت في رجال الدين الرسميين في الجزائر الذين يخضعون لسيطرتها التأييد و الولاء لها حيث جاءت برقياتهم تعلن فتوى رجال الدين الرسميين بوجوب الحرب مع فرنسا شرعا، و كان هذا هو عربون الولاء الذي حصلت عليه فرنسا من الجزائر لأن الفرنسيين قد اعتادوا دائما عندما تحل بهم المحنة (مثلا الحرب السبعينية 1870) الإعلان بأن الجزائريين مخلصون لهم، مستشهدين على ذلك بتأييد بعض الأسر الكبيرة و رجال الدين الرسميين و شيوخ العرب لهم، لأن هؤلاء هم الوسطة بين فرنسا و الشعب الجزائري⁵⁶.

و أمام تصلب موقف قادة الأحزاب الوطنية الجزائرية و على رأسها حزب الشعب الجزائري و رفضهم تأييد و مساندة فرنسا في حربها ضد ألمانيا، لجأت هذه الأخيرة إلى فرض سياسة التجنيد الإجباري على الجزائريين بالقوة، فجدت أكثر من مليون جزائري وزعتهم بين جنود في الميدان و بين عاملين وراء الجنود و اعتبرت مشاركتهم في هذه الحرب قائمة على أساس أنها حرب بين الحرية التي تمثلها فرنسا و الحلفاء و بين النازية التي تمثلها ألمانيا⁵⁷. و ساعدها في تطبيق و فرض هذه السياسة مستوطنوها في الجزائر الذين كانوا ينتظرون هذه الفرصة بفارغ الصبر حتي يصفو لهم الجو و تفرغ لهم الساحة و يتمكنوا من التصرف بحرية في الجزائر⁵⁸. لأن المستوطنين لا يثقون في بقاء المجندين الجزائريين في الجزائر⁵⁸، بالإضافة إلى أن المارشال "بيتان" كان قد أعلن بأن حكومته قد جعلت أول مبرر لوجودها في الجزائر هو المحافظة على سلامة الإمبراطورية الفرنسية، متجاهلا بذلك مأساة الشعب الجزائري الذي شارك في حرب لا ناقة له فيها و لا جمل⁵⁹.

و في حقيقة الأمر أن فكرة التجنيد الإجباري ليست جديدة على الجزائريين بل هي فكرة قديمة تعود إلى مطلع القرن العشرين و بالضبط إلى عام 1912 قرارا بفرض التجنيد الإجباري على الجزائريين، زاعمة بذلك أن تحقق المساواة بينهم و بين الأوربيين، و لكنها في الواقع حققت المساواة بينهم في الواجبات فقط دون الحقوق⁶⁰.

و هكذا عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام 1914 جهزت فرنسا كل قواتها و استدعت كل الرجال الذين يبلغ سنهم من 18 سنة حتى 50 سنة بل و استدعت حتى الذين لم يشملهم قانون التجنيد الإجباري عام 1912، و بهذه الطريقة جندت فرنسا من الجزائريين حوالي أربعمئة ألف مقاتل منهم 250,000 من الجزائريين، مائة و خمسين ألف من الفرنسيين، و استشهد من الفرنسيين حوالي 18000 و من الجزائريين حوالي 80,000 شخص⁶¹.

هذا و من جهة أخرى فقد أثار قانون التجنيد الإجباري مشاعر الجزائريين فأعربوا عن تدمرهم بتشكيل الوفود للاحتجاج لدى السلطات الفرنسية⁶².

لكن من دون جدوى، الشيء الذي حمل الجزائريين على الهجرة إلى بلاد الشام و تركيا، فهاجر عدد غير قليل خصوصا ممن تلمسان⁶³، و الجزائر العاصمة و بلاد القبائل، و زاد من استياء الجزائريين من هذا القانون أن الجزائريين الذين يؤدون واجب الخدمة العسكرية الإجبارية كانوا لا يعاملون على قدم المساواة مع الجنود الفرنسيين فهم من جهة يقضون ضعفي المدة التي يقضيها الفرنسيون و من جهة أخرى لا ينالون ما يناله الفرنسيون من رتب و ألقاب كما لا يتقاضون نفس الأجور⁶⁴.

و من الواضح أن السلطات الفرنسية كانت قد ضيققت الخناق على قادة الحركة الوطنية الجزائرية منذ نشوب الحرب العالمية الثانية و طبقت

عليهم سياسة القمع والإضطهاد⁶⁵ و هذا بهدف تفرقتهم و تشتيتهم لكنها فشلت في ذلك بل العكس فقد زادت في حماس الجزائريين⁶⁶ فصمدت الجماهير الشعبية الجزائرية بقوة و عزيمة أمام كل وسائل القهر و التعذيب التي كانت تسلطها السلطات الاستعمارية الفرنسية عليهم⁶⁷، الشيء الذي أدى بالمتقنين الجزائريين المعتدلين إلى تعديل أفكارهم و اتجاهاتهم بعض الشيء فأصبحوا يطالبون بحقوق و حريات أوسع مما كانوا يطالبون به قبل ذلك بسبب تعنت فرنسا و خضوعها المستمر لضغوط المستوطنين و نفوذهم، و رفض المستوطنون لفكرة المساواة بينهم و بين الجزائريين حتى و لو كان الجزائريون على درجة عالية من الثقافة الفرنسية⁶⁸.

الشيء الملاحظ بالنسبة لفرنسا خلال الفترة من 1939 إلى 1940 هي أنها رغم ضعفها إلا أنها كانت لا تزال في نظر بعض الجزائريين تثير الإعجاب و الإحترام، و عند البعض الآخر تثير الكراهية و الانتقام لأن نقاط ضعفها لم تكن قد ظهرت للعيان فهي في الميدان تحارب و لها حلفاء و مستعمرات لكنها في الواقع ضعيفة منهكة القوى⁶⁹.

و من هنا كانت ردود فعل الجزائريين من هذا الوضع الجديد الذي بلغته فرنسا محل خلاف بين المؤرخين، فمنهم من يرى بأن الجزائريين كانوا قلقين من جراء ما كان يحدث في فرنسا و لاسيما عندما عرفوا أن حكومة "بول رينو" Paul Renault قد أعربت عن استعدادها سنة 1940 للتنازل عن تونس لإيطاليا مقابل حيادها عن الحرب و عدم تحالفها مع ألمانيا، ثم تجزئة القطر الجزائري فتضم تونس عمالة قسنطينة، و تهدي عمالة وهران إلى إسبانيا و تحتفظ فرنسا لنفسها بعمالة الجزائر العاصمة و الوسط بشكل عام⁷⁰.

و هناك من يرى بأن الجزائر كانت تبدو هادئة عند بداية الحرب لكن مستقبلها كان غير واضح⁷¹.

الخاتمة.

من خلال ماسبق يمكن القول بأن الحركة الوطنية الجزائرية التي إمتازت بالقوة والنضج في فترة ما بين الحربين العالميتين حيث عملت على توحيد جهودها وأهدافها قد وجدت هي الأخرى في إندلاع الحرب العالمية الثانية الفرصة المناسبة لتغيير إستراتيجيتها مستفيدة من تجربة الماضي من جهة ، ومن جهة أخرى من التحولات التي تشهدها الساحة الدولية ، خاصة وان هناك من شارك في هذه الحرب مثل فرحات عباس ، وهناك من فضل اللجوء إلى العمل السري مثل أنصار حزب الشعب الجزائري .

وفي النهاية خرجت الحركة الوطنية الجزائري مرة أخرى قوية موحدة ، تجسد ذلك في حركة أحباب البيان والحرية عام 1943 التي تسلحت بوثيقة بيان الشعب الجزائري الوثيقة التي لخصت مسيرة الكفاح الوطني منذ الإحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830 ، وأمام هذا التطور بقيت أعين السلطات الإستعمارية ساهرة تخطط لضرب هذه القوة المتنامية في العمق فحاكت لها مؤامرة 8 ماي 1945 وأقدمت على حل الأحزاب الوطنية وزجت بقادتها في غياهب السجون والمعقلات، لكن هيهات أن تقضي على مسار الكفاح الوطني؟.

الهوامش

- 1- Mahfoud Kaddach : Histoire du Nationalisme Algerien,question National et Politique Algerienne 1919-1951 Tome 2 ed s.n.e.d Alger pp571-574
- 2- ابن حسين كريمة : الحياة السياسية في قسنطينة 1930-1939 مذكرة دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث والمعاصر ، إشراف الأستاذ الدكتور توفيق علي برو معهد التاريخ جامعة قسنطينة 1985 ص299
- 3- Claude Collot et Jean Robert Henry : Le Mouvement National Algerien .Textes 1912-1954, 2ed , ed O.P.U. Alger et L'harmattan , parie1981 p138.
- 4- ابن حسين كريمة : المرجع السابق ص.301
- 5- Mohamed Tegua : L'Algerie en guerre ed O.P.U. Alger 1988.p61.
- 6- ناهد إبراهيم الدسوقي : الحركة الوطنية الجزائرية في فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية 1918 - 1939 رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور حسن محمد صبحي ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية 1975 ص.225
- 7- L'Enttente Franco-Musilmane N85, 25Aout 1938
- 8- ابن حسين كريمة : المرجع السابق ص.199
- 9- L'Enttente Franco-musilmane N84, 04 Aout 1938.
- 10- ابن حسين كريمة : المرجع السابق ص.301
- 11- المرجع نفسه ص.302
- 12- المرجع نفسه ص. 303.
- 13- المرجع نفسه ص. 303.
- 14- نظرا لمعارضة العلماء لفرحات عباس فإنهم عملوا على إقناع القاعدة الشعبية الموالية لهم بعدم الإنخراط في الإتحاد الشعبي الجزائري الذي أسسه فرحات عباس
- 15- أسس هذه الفروع بعض الشخصيات مثل الأخضرى مصطفى بمساعدة فيدرالية النواب
- 16- ابن حسين كريمة : المرجع السابق ص. 303.
- 17- المرجع نفسه ص. 304.
- 18- La lutte Sociale N 158, 13Aout 1938.
- 19- ابن حسين كريمة : المرجع السابق ص 310.
- 20- رياض الصمد : العلاقات الدولية في القرن العشرين ج1 ط1 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت 1986، ص. 18.
- 21- محمد حافظ وآخرون : الحرب العالمية الثانية في البحر الأبيض المتوسط 1940 - 1943 ط3 دار الكتاب العربي ، مصر 1964، ص. 12.
- 22- رمضان لاوند : الحرب العالمية الثانية ط11 دار العلم للملايين، بيروت، ص9،10.
- 23- رياض الصمد : المرجع السابق ص 20، 21.
- 24- Ageron Charles Robert : Histoire de L'Algerie Contemporaine Tome 2 ed P.U.F paris 1979 p547.
- 25- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون : الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الأولى 1920 - 1936 المؤسسة الوطنية للكتاب ن الجزائر 1984 ص 224 .
- 26- المصدر نفسه ص. 224.
- 27- شارل ديغول : مذكرات الحرب ، ترجمة خيرى حماد ط1 منشورات دار أسامة ، دمشق ، دون تاريخ ص. 47.
- 28- المصدر نفسه ص. 47.
- 29- جون غليسي : ثورة الجزائر ، ترجمة عبد الرحمان صدقي أبو طالب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966 ص 70.
- 30- كولينت وفرانسيس جونسون : الجزائر الثائرة ، ترجمة محمد علوي الشريف وآخرون، دار الهلال 1957 ص. 56.

- 31- محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954 ط1 دار البعث قسنطينة 1981 ص 196
- 32- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح - مذكرات - ج3 في الجزائر 1925- 1954 المؤسسة الوطنية للكتاب 1988 ص 64 ، 65 .
- 33- Georges A . Taliadoros : La culture Politique Arabo-Islamique et la Naissance du Nationalisme Algerien 1830- 1962 , ed E.N.A.L Alger 1985 p 54.
- 34- من بين الأشخاص الذين استمالتهم فرنسا للوقوف إلى جانبها في الحرب العالمية الثانية، الشيخ الطيب العقبي أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين البارزين ، حيث كان موقفه يخالف موقف بقية أعضاء الجمعية بخصوص المشاركة إلى جانب فرنسا في هذه الحرب، وتسبب موقفه هذا في تقديم إسئالته من عضوية الجمعية ، علما بأن خلافه مع بعض أعضاء الجمعية كان قد بدأ منذ حادثة إغتيال المفتي كحول عام 1936 ثم بعد ذلك أسس جريدة أسماها(الإصلاح) أنظر أحمد توفيق المدني ،حياة كفاح ج3 المصدر السابق.
- 35- محمد الطيب العلوي : المرجع السابق ص 196.
- 36- أحمد توفيق المدني : المصدر السابق ص 275.
- 37- جمعية النواب هي نفسها إتحادية المنتخبين المسلمين الجزائريين التي تأسست عام 1927 وكان من أبرز قادتها فرحات عباس ، الدكتور بن جلول ، وبن تهامي ..الخ
- 38- شارك فرحات عباس في الحرب العالمية الثانية إلى جانب فرنسا ، ورفي إلى رتبة رقيب في المصلحة الصحية .
- 39- Bultin du Gouvernement General, 14 Septembre 1939 Archives ex en provence Carton 11 H 48 et 11H 49.
- 40- محمد الطيب العلوي : المرجع السابق ص 195.
- 41- Revue D'histoire Maghrebine N 04, Juillet 1975 Tunisie p 18,19.
- 42- كوليت وفرانسيس جونسون : المرجع السابق ص 56.
- 43- ناهد إبراهيم الدسوقي : المرجع السابق ص 281.
- 44- محمد الطيب العلوي : المرجع السابق ص 196.
- 45- Ahmed Mahsas : Le Mouvement Revolutionnaire en Algerie de la 1^{er} guerre Mondiale a 1954 ed L'harmattan, paris 1985, p 156.
- 46- ابن حسين كريمة : المرجع السابق ص 304.
- 47- المرجع نفسه ص 304.
- 48- L'Entente Franco- Musilman N 112 , 11Mars 1939.
- 49- ابن حسين كريمة : المرجع السابق ص 304.
- 50- علال الفاسي : محاضرات في المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى ، معهد الدراسات العربية العالية مطبعة نهضة مصر 1955 ص 94.
- 51- محمد الطيب العلوي : المرجع السابق ص 169.
- 52- André Nouchi : La Naissance du Nationalisme Algerien 1914-1954 ed de Minuit , paris 1962 , p127.
- 53- محمد تاطيب العلوي : المرجع السابق ص 197.
- 54- المرجع نفسه ص 197.
- 55- أبو القاسم سعدالله : الحركة الوطنية الجزائرية 1930- 1945 ج3 ط3 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 ص 169 ، 170 .
- 56- الفضيل الورتلاني : الجزائر الثائرة ، بيروت 1963 ص 80.
- 57- صلاح العقاد : الجزائر المعاصرة ن معهد الدراسات العربية العالية مطبعة الرسالة ،القاهرة 1963 ص 44.
- 58- أبو القاسم سعدالله : المرجع السابق ص 170.
- 59- Maurice Agulon , André Nouchi : La France de 1940 a Nos Jours ed Fernand Nattan , paris 1972, pp162,163.

- 60- يحي بوعزيز: سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1954 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1985 ص 48.
- 61- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 ص 67.
- 62- نبيل أحمد بلاسي : الإتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990 ص 221.
- 63- هاجر من مدينة تلمسان وحدها حوالي 800 عائلة نحو المشرق العربي أنظريحي بوعزيز سياسة التسلط الإستعماري مرجع سابق، كما وصف أحد الكتاب الفرنسيين وهو فيكتور دي مونت ،هذه الهجرة بقوله:(إنه الهلع الحقيقي الذي يوشك أن يكون وباء أخلاقيا) أنظر نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق ص. 222.
- 64- أحمد توفيق المدني : (كتاب الجزائر) المصدر السابق ص 64.
- 65- يحي بوعزيز : المرجع السابق ص 114.
- 66- جلال يحي: السياسة الفرنسية في الجزائر 1830 - 1962 ط1 دار المعارف القاهرة 1959 ص 292.
- 67-محمد رفعت: تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية ، دار المعارف مصر 1959 ص 268.
- 68- يحي بوعزيز : المرجع السابق ص 114.
- 69- أبو القاسم سعدالله : المرجع السابق ص 170.
- 70- فرحات عباس : ليل الإستعمار ، حرب الجزائر وثقافتها 1 ترجمة أبو بكر رحال مطبعة فضالة المحمدية ، المغرب ، دون تاريخ ص 165.
- 71- أبو القاسم سعدالله : المرجع السابق ص 170.